

تفسير ابن كثير

يخبر تعالى عما تمألاً عليه فرعون وملؤه وما أضمره لموسى عليه السلام وقومه من الأذى والبغضة { وقال الملاً من قوم فرعون } أي لفرعون { أئذ موسى وقومه } أي أئذهم ليفسدوا في الأرض أي يفسدوا أهل رعيته ويدعوهم إلى عبادة ربهم دونك يا ٱ العجب صار هؤلاء يشفقون من إفساد موسى وقومه ! ألا إن فرعون وقومه هم المفسدون ولكن لا يشعرون ولهذا قالوا { ويذكرك وآلهتك } قال بعضهم الواو هاهنا حالية أي أئذره وقومه يفسدون في الأرض وقد ترك عبادتك ؟ وقرأ ذلك أبي بن كعب وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك حكاه ابن جرير وقال آخرون : هي عاطفة أي أئذهم يصنعون من الفساد ما قد أقررتهم عليه وعلى ترك آلهتك وقرأ بعضهم إلهتك أي عبادتك وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد وغيره وعلى القراءة الأولى قال بعضهم : كان لفرعون إله يعبده قال الحسن البصري كان لفرعون إله يعبده في السر وقال في رواية أخرى كان له حنانة في عنقه معلقة يسجد لها وقال السدي في قوله تعالى : { ويذكرك وآلهتك } وآلهته فيما زعم ابن عباس كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم فرعون أن يعبدوها فلذلك أخرج لهم السامري عجلاً جسداً له خوار فأجابهم فرعون فيما سأله بقوله سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وهذا أمر ثان بهذا الصنيع وقد كان نكل بهم قبل ولادة موسى عليه السلام حذراً من وجوده فكان خلاف ما رامه وضد ما قصده فرعون وهكذا عومل في صنيعة أيضاً لما أراد إذلال بني إسرائيل وقهرهم فجاء الأمر على خلاف ما أراد : أعزهم ٱ وأذله وأرغم أنفه وأغرقه وجنوده ولما صمم فرعون على ما ذكره من المساءة لبني إسرائيل { قال موسى لقومه استعينوا با ٱ واصبروا } ووعدهم بالعاقبة وأن الدار ستصير لهم في قوله { إن الأرض ٱ يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا } أي قد فعلوا بنا مثل ما رأيت من الهوان والإذلال من قبل ما جئت يا موسى ومن بعد ذلك فقال منبها لهم على حالهم الحاضر وما يصيرون إليه في ثاني الحال { عسى ربكم أن يهلك عدوكم } الآية وهذا تخصيص لهم على العزم على الشكر عند حلول النعم وزوال النقم